المبحث الأول: ضبط المفاهيم (التجديد،الخطاب،العقل،الحداثة)

المطلب الأول: مفهوم التجديد و الخطاب

التجديد:

لغة: جاء في مفاهيم اللغة وقواميسها مادة جدد ما ملخصه:

جدد: و الجدة مصدر الجديد، وأجد ثوبا واستجده، صيره جديدا وهو ضد الخلق وثياب جدد مثل سرير وسرر: وتجدد الشيء صار جديدا والجدة نقيض البلى، وهذا الشيء جديد أي غير بال ولا خلق ويقال: أصبحت ثيابهم حلقا، وخلقناهم جددا.

ويقال: بلي بيت فلان ثم أجد بيتا في شعر.

ويقال للرجل إذا لبس ثوبا جديدا، أبل و أجد وأحمد الكاسي، وفلان جدد الوضوء والعهد بمعنى أعاد الوضوء، و أكد العهد وأحياه.

و يتبين مما سبق أن المراد بالتجديد في اللغة إعادة الشيء بعدما خلق وبلي إلى ماكان عليه أول الأمر فهو في أول أمره كان جديدا فتقادم العهد عليه حتى بلي وخلق، ثم جدد بإعادته إلى ماكان عليه و من المعنى اللغوي يتضح أن الشيء المجدد يفترض فيه عنصران:

الأول: أنه كان جديدا ثم أصابه البلى

الثاني: إنه جدد وأعيد إلى ماكان عليه في حالته الأولى[1].

اصطلاحا: التجديد اصطلاحا ادعيائه المنحرفين به، فهو ماذكره الشيخ صالح الفوزان بقوله: معناه الابتداع و إحداث في الدين ما ليس منه، إن التجديد الذي ينادونبه التجديد في الدين[2] بإحداث فقه جديد معاصر كما يسمونه، لأن الفقه القديم –بزعمهم- لا يناسب هذا العصر بشكله ومضمونه.

أما التجديد عند الحداثيين: هو إعادة الشيء وتجديده مع المحافظة على أصوله وثوابته الأولى، أي أن التغير لا ينال جذور الشيء المجدد، وإنما يعاد ويظهر بلباس جديد.

(1)- ابن منظور: لسان العرب، التحقيق نخبة من الأساتذة هم: عبد الله علي كبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، المجلد الثاني، من الحاء إلى الدال باب الخاء، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص ص 414-415.

(2)- مجلة الدعوة، 1410/11/2/16454ه، ص17.

يمكن القول أن دلالة التجديد الأولى في الشعر هي طاقة التغيير التي يمارسها بالنسبة إلى ماقبله وما بعده، أي طاقة الخروج على الماضي منجهة، وطاقة احتضان المستقبل من جهة ثانية.

كل أثر شهر جديد حقا يكشف عن أمرين مترابطين، شيء جديد يقال، وطريقة قول جديدة... وعلامة الجدة في الأثر الشعري هي طاقته المغيرة، التي تتجلى في مدى الفروقات، ومدى الإضافة: في مدى اختلافه عن الآثار الماضية، وفي مدى اغناءه الحاضر والمستقبل[1].

الخطاب:

جاء في لسان العرب: خطب الخطب: الشأن أو الأمر، صغر أو عظم، وقيل هو سبب الأمر، يقال هو سبب الأمر، يقال ما خطبك أي ما أمرك؟ وتقول هذا خطب جليل وخطب يسير[2].

والخطب: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، والشأن والحال ومنه قولهم: جل الخطب أي عظم الأمر والشأن، وما خطبك: ما شأنك الذي تخطبه، وهو مجاز كما في الأساس[3] وقيل هو سبب الأمر، يقال ما خطبك أي ما أمرك وتقول هذا خطب جليل وخطب يسير.

والخطب بمعنى الأمر الذي تقع فيه المخاطبة والشأن والحال قد تردد خمس مرات في القرآن موزعات على خمس سور، ففي سورة يوسف يسأل القرآن على لسان الملك النسوة من شأنهن وعرضهن من مراودتين "يوسف" عن نفسه فقال تعالى: قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ۚ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ۚ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (51) [4] وفي سورة القصص سأل موسى إمرأتين فقال:

وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ [5] أي ما الأمر والشأن الذي حال دون الشيء وفي سورة طه خاطب موسى السامري فقال **قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (95)** [6].

(1)- مقدمة للشعر العربي، ص ص 99-100.
(2)- ابن منظور: لسان العرب، ص ص 1194-1195.
(3)- الزبيدي محمد المرتضي: تاج العروس من جواهر النفوس، المجلد الأول، ج1، فصل (الخاء) من باب (الباب)، المطبعة الخيرية، الجمالية، مصر، ط1، 1306ه، ص237.
(4)- سورة يوسف، الآية 51.
(5)- سورة القصص، الآية 23.
(6)- سورة طه، الآية 95.

أي ما شأنك وعرضك من أضلال بني إسرائيل، وفي سورتي "الحجرات" و"الذاريات" سأل "إبراهيم المرسلين قائلا:(فما خطبكم أيها المرسلون) [1]وكان الجواب (إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين) [2].

اصطلاحا: جاء في معجم لالاند الفلسفي المترجم إلى العربية، ترجمت الكلمة الفرنسية Discours إلى الكلمة العربية: خطاب، حديث.

أ: عمليات فكرية تجري من خلال سلسلة عمليات أولية جزئية ومتتابعة.

ب: نحو خاص تعبير عن الفكر وتطويره له بسلسلة كلمات أو عبارات متسلسلة[3].

وجاء في المعجم الفرنسي أن الخطاب يدل على معان أربعة:

- إن الخطاب تعبير عن الفكر بواسطة الكلام.
- إن الخطاب يعبر عن الفكر سواء أكان شفهي أو مكتوب، وإن أجزاء الخطاب هي مقولات الكلمات الملاحظة بواسطة النحو التقليدي.
- إن الخطاب عرض شفهي موجه نحو جمهور بخصوص موضوع محدد.
- إن الخطاب عرض كتابي ذي خاصية تعليمية[4].

المطلب الثاني: مفهوم العقل و الحداثة

العقل:

لغة: الحجر والنهي ضد الحمق، والجمع عقول، وفي حديث عمرو بن العاص: تلك عقول كادها بارئها أي أرادها بسوء، عقل يعقل عقلا ومعقولا وهو مصدر، قال سيبويه: هو صفة وكان يقول إن المصدر لا يأتي على وزن نفعول البتة، ويتأول المعقول فيقول كأنه عقل له شيء أي حبس عليه وأيد وضدد، قال: ويستغني بهذا عن المفعل الذي يكون مصدرا، وأنشد ابن بري:

فقد أفادك لهم حلما وموعظة لمن يكون له رب ومعقول

وعقل، فهو عاقل وعقول من قوم عقلاء يقول ابن الأنباري: رجل عاقل وهو الجامع لأمره ورأيه مأخوذ عن عقلت البعير إذ جمعت قوائمه، وقيل العاقل الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها، أخذ من قولهم قد اعتقل لسانه إذا حبس ومنع الكلام، والمعقول هو ما تعقله بقلبك والعقل، يقال: ما له معقول أي عقل وهو أحد المصادر التي جاءت على مفعول كالميسور والمعسور وعاقله فعقله يعقله، بالضم: كان أعقل منه.

والعقل التثبث في الأمور، والعقل: القلب العقل ويسمى العقل عقلا لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك أي يحسبه وقيل العقل هو التمييز الذي به يتميز الإنسان عن سائر الحيوان[1].

(1)- سورة الحجر، الآية 58.

(2)- سورة الذاريات، الآية 23.

(3)- اندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عديدات، بيروت، باريس، ط2، 2001، مج2، ص 82.

(4)- Dictionnaire du français : directions phoye amiel : asisté de hervé dubourjat et brigitte vienne ;éd ;hachette 1987 ;nouvelle édition 1995 :p 340.

ويسمى كذلك الحجر والنهي تشبيها بعقل الناقة- لأنه يمنع صاحبه من العدول عن سواء السبيل كما يمنع العقال الناقة عن الشرود، والجمهور يطلق العقل على ثلاثة أوجه:

الأول: يرجع إلى وقار الإنسان وهيئه، ويكون حده أنه هيئة، محمودة للإنسان في كلامه واختياره وحركاته وسكناته.

الثاني: يراد به ما يكسبه الإنسان بالتجارب من الأحكام الكلية، فيكون حده أنه معان مجمعه في الذهن تكون مقدمات تستنب طبها الأعراض والمصالح.

الثالث: يراد به صحة الفطرة الأولى في الإنسان فيكون حده أنه قوة تدرك صفات الأشياء من حسنها، وقبحها وكمالها، ونقصانها، أما الفلاسفة فإنهم يطلقون العقل على المعاني التالية: أول هذه المعاني قولهم: إن العقل جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها هذا فيما يخص ابن رشد وهذا الجوهر ليس مركبا من قوة قابلة للفناء أما ابن سينا:"العقل مجرد عن المادة في ذاته مقارن لها في فعله"[2].

إن القول بجوهرية العقل موجود في أكثر كتب الفلاسفة، فالفرابي يقول إن القوة العاقلة جوهر بسيط مقارن للمادة، يبقى بعد موت البدن، وهو جوهر أحدي، وهو الإنسان على الحقيقة وابن سينا لا يتحدث عن القوة العاقلة ألا يطلق عليها اسم الجوهر، وهو يسمى الجوهر المبتدئ من المواد من كل جهة عقلا، وهو النفس الناطقة التي يشير إليها كل أحد بقوله: "أنا وثاني هذه المعاني قولهم أن العقل قوة النفس التي بها يحصل تصور المعاني، وتأليف القضايا والأقيسة والفرق بينه وبين الحسن أن العقل يستطيع أن يجرد الصورة عن المادة وعن لواحق المادة أما الحسن فإنه لا يستطيع ذلك فالعقل إذن قوة التجديد، تنزع الصورة من المادة، وتدرك المعاني الكلية فالجوهر والعرض والعلة والمعلول والغاية والوسيلة والخير والشر ...الخ. ولهذه القوة عن فلاسفة الإسلام عدة جوانب أولها: مرتبة العقل الهيولاسي intelligence matérielle وهو الاستعداد المحض لإدراك المعقولات وإنما نسب إلى الهيولي لأن النفس في هذه المرتبة تشبه الهيولي الأولى الخالية في حد ذاتها من الصور كلها، والعقل الهيولاني مرادف للعقل بالقوة intelligence pouissance وهو العقل الذي يشبه الصفحة البيضاء التي لم ينقش عليها شيء بالفعل وثانيها: مرتبة العقل بالملة intelligence habitude وهو العلم بالضروريات والقرار النفسي بذلك لاكتسب النظريات وثلثها: مرتبة العقل بالفعل intelligence en acte وهو أن تصير النظريات مخزونة عند القوة العاقلة بتكرار الاكتساب بحيث يحصل لما لها ملكة الاستحضار متى شاءت من غير تجشم كسب جديد، لكنها لا تشاهدها بالفعل[3].

الحداثة:

(1)- ابن منظور، لسان العرب، المجلد العاشر، ط1، ص 52.

(2)- صليبا جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج1، 1982، ص 562.

(3)- الحلو عبدو، معجم المصطلحات الفلسفية، فرنسي، عربي، المركز التربوي للبحوث والإنماء، مكتبة لبنان، د ط، د س، ص 146.

لغة: كلمة الحداثة في اللغة مشتقة من الجذر (ج-د-ث) و"حدث الشيء يحدث حدوثا حدث فهو محدث وحديث، وحدث الأمر أي وقع وحصل، وأحداث الشيء أوجده، والمحدث هو الجديد من الأشياء"[1].

وعليه فالحداثة في اللغة ترادف الجدة والتجديد.

أما في اللغة الفرنسية، فإن الصفة حديث moderne أقدم تاريخيا من اللفظ حداثة modernité.

وكلمة حديث moderne تقابلها في اللاتينية modernus[2] والتي تظهر في أواخر القرن الخامس بعد الميلاد وتأتي كلمة modo التي تعني الآن أو الآخر أو حالا، وقد استعملت بهدف التمييز بين الماضي الروماني الوثني والحاضر المسيحي الذي لم يكن قد مضى زمن طويل على الأعراف بع رسميا، وقد ازداد استعمال لفظ حديث منذ القرن 10م في الميدانين الفلسفيوالديني، ويكاد يستعمل دوما بمعنى ضمني للدلالة على الانفتاح والحرية الفكرية أو بمعنى عامي للدلالة على الخفة وحب التغيير لأجل التغيير.

أما لفظ حداثة modernité فلم يأخذ معناه ودلالته إلا في القرن 19م وقد ارتبط بأعمال شارل بودلير (1821-1861) الذي يعتبره أغلب الدارسين أبا للحداثيين، لأنه أول من قدم صياغة نظرية للحداثة والحداثة عند بودلير هي "المؤقت والعابر، وهي الجمال الموجود في الموضة التي تتغير في كل فصل من الفصول" وإذا كانت الحداثة التي نجدها عند بودلير تتعلق بالأدب والمسائل الفنية بالدرجة الأولى[3].

اصطلاحا: من الصعوبة الوصل إلى ضبط المفهوم الدقيق للحداثة، إذ ليس هناك اتفاق بين المفكرين حول طبيعة ومكونات الحداثة لذلك سوف نحاول أن نلمس الملامح العامة للحداثة من خلال بعض النماذج.

يعتقد جون بودريار أن الحداثة "ليس الحداثة مفهوما سوسيولوجيا أو سياسيا أو تاريخيا بحصر المعنى وإنما هي صبغة مميزة للحضارة، تعارض صبغة التقليد أي أنها تعارض جميع الثقافات السابقة والتقليدية، فأمام التنوع الجغرافي والرمزي لهذه الثقافات تفرض الحداثة نفسها وكأنها واحدة متجانسة ومشعة عالميا انطلاقا من العرب، ويتضمن هذا المفهوم إجمالا الإشارة إلى تطور تاريخي بأكلمه وإلى تبدل في الذهنية"[4].

إن هذا المفهوم وإن لم يحدد لنا الحداثة فإنه حدد لنا الملامح والسمات العامة لها فهي أولا تتسم بالشمولية إذ ليس هناك وجه واحد للحداثة[5]، وهي ليست محصورة في جانب حياتي أو فكري واحد لأن "الحداثة مفهوم حضاري شمولي يطال كافة المستويات الوجود الإنساني

(1)- ابن منظور، لسان العرب، إعداد وتصنيف: يوسف الخياط، دار لسان العرب، بيروت، د س، مج 3، ص 907.

(2)- لالاند اندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عديدات، بيروت، باريس، ط2، 2001، مج2، ص 822.

(3)- برادة محمد، اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة، فصول، العدد 3، 1984، الهيئة المصرية العامةللكتاب، القاهرة، ص 12.

(4)- برادة محمد، اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة، ص 12.

(5)- فيتروك بودرن، حداثة واحدة أم حداثات عدة؟، تر: محمد يونس، الثقافة العالمية، عدد 104، يناير فبراير 2001، المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون، الكويت، ص 98.

ثانيا: الحداثة تقابل التقليد بقول هابرماس إن الحداثة تعبر دائما عن وعي عصر ما يحدد نفسه ... ويفهم ذاته كنتيجة انتقال من القديم إلى الحديث" لأن الحداثة هي انفصال والقطيعة مع الماضي، فهي في جوهرها عملية انتقالية تشمل التحول من نمط معرفي إلى نمط معرفي آخر يختلف عنه جذريا وهي انقطاع عن الطرق التقليدية لفهم الواقع وإحلال أنماط فكرية جديدة.

ثالثا: تمتاز الحداثة من خلال التعريف السابق بأنها مرتبطة بالتاريخ الأوربي في نشأتها وتطرها، ذلك ماذهب إليه هشام الشرابي في توضيحه لمحررات الحداثة معتبرا إياها ظاهرة تتميز بأوروبيتها ...وهي محصلة عملية تاريخية بدات في أوربا منذ النهضة والإصلاح[1] إذا استغرق تشكل الحداثة وعموما بكافة أنحاء أوربا أزيد من ثلاثة قرون وهذا ما تبين لنا أن الحداثة هي نمط حضاري الذي بلغته المجتمعات الغربية كبداية من منتصف القرن 19م، والذي كان نتيجة لتطورات عديدة وشاملة لجميع المستويات الفكرية السياسية الاقتصادية، الدينية والاجتماعية ...الخ.

(1)- شرابي هشام، النظام لابوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، تر: محمود شريح، دار نلسن السويد، ط4، 2000، ص 39.